فلسفة العرب * جملة مرسلة

لجناب عزتلو حسن افندي بيهم

لما كانت الفلسفة عبارة عن معرفة حقائق الاشياء بنواميسها وكانت وهي امّ العلوم العقليّة طبيعيّة في الانسان من حيث انه ذو فكر وكل فكر الى الاطلاع على كنه الامور ميّال كان من الواجب النظر فيما كانت عليهِ فلسفة العرب ليُعلَم عظم ادراكهم ودرجة ما وصلوا اليهِ لان ادراك كل قوم يُعرَف باشتغالهم بها . ولهذا احببت ان اتحف القرّاء الكرام قرّاء المقتطف بجملة مرسلة اي غير مبنية بقضية او بحث في فلسفة العرب اقتصد بها سرد تاريخها عندهم منذ نشأتها ومصادر اخذها وطرقهم اليها ومناهجهم بها وما اقروهُ وما نبذوهُ وما زادوهُ والغاية التي وصلوا وتوصّلوا بها اليها ثمّ اهالهم لها وضعفها وتلاشيها كل ذلك جمعتهُ جمعاً ملخصاً من اشتات سطورتها العلماء فعسى يشمل جمعي المراد ويفرد له باب في المقتطف الآغر يدخل منهُ الى الصدور

لقد كانت العرب في اعصر الجاهلية اعصر الظلمات بضنك وجهد من العيش ذوي بغي والحاد وقطع للقرابة وتنافس في الردى وعبادة الاوثان آكلهم الحشرات واشرف طعامهم اوبار الابل امرؤها بالدم وكان تنافسهم بالمؤودة والسائبة والوصيلة والحامي فلما اراد الله تعالى ابدال ما بهم من الضلالة بالهدى ومن الشر بالخير ومن الجهل بالمعرفة ظهر صاحب الرسالة عليهِ الصلاة والسلام وجاءنا بالبينات والهدى . وبعد الفتوحات المجيدة التي اقامها الخلفاء وتكلل بها صدر الاسلام اخذ العرب بالاشتغال لاستدراك اسرار الكتاب بما ذُكِر في محكمهِ من صفات الحق سبحانهُ وتعالى اذ انهُ ورد في القرآن الشريف وصف الحق المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل لحفتها الاية وارشدوا اليها وآمنوا بها الّا انهُ عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه العقائد اكثر مشارها من الآيات المتشابهة (كذا ذكرهُ ابن خلدون) فدعا ذلك الى الخصام والتناظر وشذ عن الائمة لعصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وظهرت الفرق والعقائد . فاوّل فرقة حدثت القدرية واوّل من قال بالقدر معبد ابن خالد الجهني ومعنى القدر هنا ان الانسان يخلق افعال نفسهِ وانهُ لا يحتاج في ذلك الى معاونة سبحانهُ وان الامر انفة اي ان لم يقدر على خلقهِ شيئاً . وناقض هذه الفرقة الجبرية القائلة بالجبر وذلك في اواخر الدولة الاموية قبل المئة من الهجرة وهو القول بنفي استطاعة العبد وانهُ ليس لهُ قوة العمل ونفي الاختيار لهُ ونفي الكسب بل ان افعالهُ تكون بالجبر وهو ينفي الصفات الالهية كلها وهو انهُ لا يجوز ان يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقهُ واوّل من قال ذلك جهم بن صفوان فنسبت هذه الفرقة اليهِ . ثم ظهر الصفاتيون او المشبهة وهي فرقة مناقضة للجبرية وتوغلوا في التشبيه فاخذ قومها بظواهر الآيات من صفاتهِ تعالى فوقعوا في التجسيم الصريح ولكنهم احتجوا لشناعة مقالهم بانهُ جسم لا كالاجسام

ثم انه ظهر مذهب الاعتزال الذي عقائدهُ تابعة للفرق السابقة واخصها القدرية بالقول بخلق الافعال من خير وشر وامّ هذه العقائد القول بنفي الصفات عن ذاتهِ تعالى كالمجبرة . ولذلك دعوا انفسهم اصحاب العدل والتوحيد ورئيس هذه الفرقة واصل ابن عطاء وبهِ سُمّيت بالواصلية وُلد سنة الثمانين للهجرة وتوُفي سنة ١٣١ وكان من تلامذة الحسن البصري الذي لما سمع هذه العقائد عنهُ وعن قومهِ قال اعتزل هولاء مجلسنا ولذلك سموا بالمعتزلة . وغلاة المعتزلة تعتقد ان المعارف كلها عقلية (اي من اعمال العقل) حصولاً ووجوبًا قبل الشرع وبعدهُ . وقد استخدم المعتزلة لاثبات نحلتهم المناظرة والجدل فظهر بذلك علم الكلام والناظرون بهذا العلم هم المتكلمون وسُمّي بذلك لانهُ كلام صرف لا عمل فيهِ . وهو على طريقتين طريقة المتقدمين القائمة بالحجج على اهل البدع والفرق والنحل وطريقة المتاخرين التي نشأت بدخول الفلسفة اليونانية فنذكر تلك عند ذكرنا هذه

فما سبق رأينا ان عقول العرب قد داخلها الاستعداد للعلوم الفلسفية اذ اشتغلت مدّةً بالجدل والمناظرة والابحاث العقلية والنظر في الاهبات فلما قويت شوكتهم واخذوا من الروم ملكهم فيما اخذوهُ للامم وتبجح عزهم ونالوا من الحضارة حظهم وتفننوا في الصنائع والعلوم تشوّقوا الى الاطلاع على العلوم الحكمية بما تميل وتسمو اليهِ افكار الانسان فبعث ابو جعفر المنصور العباسي الى ملك الروم ان يرسل اليهِ كتب التعاليم مترجمة فارسل اليهِ كتاب اقليدس وبعض كتب في الطبيعيات فقرأها العرب واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصًا على الظفر بما بقي منها . وبعد ذلك في اعوام المئتين من الهجرة جاء المأمون عبد الله ابن هرون الرشيد وكانت لهُ في العلوم رغبة شديدة يجالس اهلها ويقرب مجالسهم ويعظّم العلماء ويكرم الادباء فانبعث لهذه العلوم حرصًا عليها ولتأييد ما يتحلهُ بواسطتها وبعث المترجمين لذلك فاوعى ولوعب منها شيئًا كثيرًا فانتشر علم المنطق واعتبروهُ بانهُ قانون ومعيار الادلة . وكان القصد من الحصول على الكتب اليونانية اجتناء ثمراتها الحسية كصناعة الطب والهيئة والطبيعيات الاّ انهُ لما كان من طبائع هذه العلوم ولوازمها تضمُّن الفلسفة التي يراها الاقدمون انها جامعة العلوم ونبراسها نظر العرب بالفلسفة واشتهرت بينهم كتبها في عامة الامصار واقبل الناس عليها واكثروا من مطالعتها والتصنيع لها وعكف النظار عليها وحذقوا في فنونها وبرعوا في موادها وكان اكثر ما يكون تعويلهم على فلسفة ارسطو ان ارسطاطاليس لموافقتها طبع العرب المَيّال الى القضايا التصديقية (او الوضعية) اكثر منها الى قضايا افلاطون التخيلية ولان فلسفة ارسطو اعمل في الجدل المضطر اليهِ بين الفرق والنحل . وقد حقق العلامة مونك الفرنساوي ان ترجمة ارسطو اخذت عن كتب باللغة السريانية نقلت اليها من اليونانية عصر الامبراطور جوستينيانوس فترجموا كتاب الاصول وكتاب العبارة والمنظومات لارسطو وايساغوجي للفيلسوف برفيريوس (ستاتي بقيتها)